ماهية النظرية ومقوماتها.

النظرية

1-تعريف النظرية (Théorie) لغة:

جاءَ في مُعجَم الدَّوحَة التَّاريخيّ للُّغة العربية في مادة (ن ظ ر) معانٍ كثيرة منها:

- **نَظَرَ الشَيْءَ:** أَبْصَرهُ وتَأَمَّلَهُ (202 ق.هـ-426م)
- **نَظَرَ الأمر:** تَدبَّرَه وتفكَّر فيه (100 ق.هـ-525م)
- **النَّظر إلى الشيء:** إبْصارُه ومُعايَنَتُه (108 ق.هـ-517م)
- **النَّظرُ:** الأمر يكون محلّ النَّظر (8هـ-629م)

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر كلمة " نظرية " تعني:

نظَرِيَّة [مفرد]: ج نظريّات[1]:

1-قضيَّة تُثْبَت صحَّتُها بحجَّةٍ ودليل أو برهان " نظريّة محاكاة الحيوان ".

[1] أحمد مختار عمر، مرجع سابق، ص 739.

2-بعض الفروض أو المفاهيم المبنيّة على الحقائِـق والمُلاحَظات تحاول توضيح ظاهرة مُعيَّنة " نظرية الذّرّة ".

3-مجموعة المسلَّمات التي تُفسِّر الفُروضَ الْعِـلميّة أو الـفنيَّـة "نظريّة ابن خلدون في الاجتماع."

4-نظريَّة المَعرِفة: البحث في المشكلات القائمة على العلاقة بين الشّخص والموضوع، أو بين الْعارف والمعروف، وفي وسائل المعرفة الفِطريّة أو المكتسبة.

وفي المعاجم الأجنبية، نجد في معجم لاروس (Larousse) معنى كلمة (Théorie) ذات الأصل **اليوناني (theôria) واللاتيني (theoria):**

- مجموعة مُنظمة من **المبادئ والقواعد والقوانين العلمية** تهدف إلى **وصف وتفسير** مجموعة من الحقائق: النظرية النسبية[1].
- مجموعة من الأفكار والمفاهيم المنظَّمة نسبيًا في مجال معيَّن: نظرية أدبية[2].

وفي موسوعة يونافارساليس (Universalis) لها عدّة معان:

- مجموعة من المفاهيم والقوانين ونظريات النظام العلمي[3].
- مجموعة من الأفكار والحدس المتعلِّقة بمجال معين[4].

2-مفهوم النظرية (Théorie) اصطلاحا:

أ- **المفهوم الأوّل:** هي رؤية مشـــهد، نظرة عقلية، تنظير، بالمعنى الحقيقي. إنشـــاء تنظيري للعقل، يربط النتائج بالمبادىء[5].

---

[1] قاموس لاروس، مادة (Théorie): النص الأصلي:

Ensemble organisé de principes, de règles, de lois scientifiques visant à décrire et à expliquer un ensemble de faits : La théorie de la relativité.

الرابط: https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/théorie/77735?q=théorie#76816

[2] قاموس لاروس، مادة (Théorie): النص الأصلي:

Ensemble relativement organisé d'idées, de concepts se rapportant à un domaine déterminé : Une théorie littéraire.

الرابط: https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/théorie/77735?q=théorie#76816

[3] موسوعة يونيفارساليس: مادة (Théorie)، والنص الأصلي بالفرنسية:

ensemble de concepts, des lois, des théorèmes d'un système scientifique

[4] موسوعة يونيفارساليس: مادة (Théorie)، والنص الأصلي بالفرنسية:

ensemble des idées, des intuitions concernant un domaine particulier

[5] أندريه لا لاند، مرجع سابق، ص 1454.

ب- **المفهوم الثاني:** هي مجموعة من الآراء والأفكار (فرضـــيات، قواعد منطقية) مجردة ومنظمة يقوم عليها تفسير ظاهرة ما.

ت- **المفهوم الثالث: في مقابل الممارســـة (Pratique)**، في نظام الوقائع: ما يكون موضوعا لمعرفة متجرّدة، مستقلة عن تطبيقاته[1].

ث- **المفهوم الرابع: في مقابل المعرفة العامية:** ما يكون موضـــوعا لتصـــوّر منهجي، منظّم نسـقيا، ومرتبطا من ثَمَّ، في صـورته، ببعض القرارات أو الموضـعات العلمية التي لا تنتمي إلى المعنى العام[2].

ج- **المفهوم الخامس: في مقابل المعرفة اليقينية:** إنشـــاء فَرَضـــي، رأي عالم أو فيلسوف في مسألة خلافية[3].

ح- **المفهوم الســـادس: في مقابل تفاصـــيل العلم:** توليف عام يأخذ على كاهله تفسـير عدد كبير من الوقائع، ومسـلّم به من قبل معظم علماء عصـر ما، بوصـفه فرضية معقولة[4].

استنتاج: النظرية تعني وحتى تفهمها أكثر نحددها من خلال مجموعة من المقابلات هي: النظرية:لا تســـاوي التطبيق، الوقائع، معرفة النظرية لا تســـاوي معرفة عامة، معرفة يقينية، معرفة جزئية.

3-مفهوم النظرية اللسانية:

إنَّ النظرية اللسانية كباقي النظريات عبارةٌ عن بناء عقلي يَـتـوقُ إلى ربط أكبر عدد من **الظواهر اللسانية** المُلاحظَة بقوانين خاصة تكوِّن مجموعة مُتَّسقة يحكُمها مبدأٌ عام هـــو **مبدأ التفسير.**

يرى أحمد المتوكل أنَّ النظرية اللســـانية – وظيفية كانت أم غير وظيفية – يجب أن تُحرِزَ **كفايتين اثنتين؛ كفاية لغوية وكفاية إجرائية،** كفاية لغوية تُحقِّـــقها حين تتوقع مستوى الوصف المُلائِم لظَواهِر اللُّغات البشرية، وكفاية إجرائية تُحقِّقُـــها حين تستطيع نفس النظرية

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

– لا نظرية أخرى– أن تطبَّق في مجالات أخرى اجتماعية اقتصـــادية كالترجمة وتحليل النصوص والأمراض النفسية المسبِّبة للاضطرابات اللغوية.

4–النظرية الدلالية:

الدرس السادس:
النظريات الدلالية مدخل عام

إنَّ النّزوع نحو تأسيس نظري للمبحث الدلالي العام، كان ولا يزال دأب الدراسات التي تناولت مسألة " المعنى "، ورمت إلى بلورة أفكارها ضمن رؤى تنظيرية تتوخّى الشمولية في الدراسة والعالمية في الأهداف. وإنَّ التراكم الفكري اللغوي منذ مدرسة " براغ " التي ركّزت اهتمامها على الصوت والدلالة، ومدرسة " كوبنهاجن " التي اهتمت بدراسة العلامة اللغوية، قد رسم للغويين المُحْدَثين اتجاهاً يكاد يكون واضحاً نحو إرساء علمي لنظرية الدلالة، ولا يمكن في هذا الوضع إغفال الجهد المضني الذي قدَّمه العالم اللغوي دي سوسير؛ إذ كانت لأفكاره وآرائه ومنهجه في الدراسة الألسنية، أكبر الأثر في مسار علم الدلالة الحديث.

إنَّ مصطلح " النظرية اللغوية " يدلُّ على اكتمال في الرؤية وحصول النتيجة العلمية، غاية البحث وإطّراد في السنن اللغوية، لكن المبحث الدلالي الحديث لم تكتمل حلقاته بعد، فلا زالت توجد الإضافات العلمية التي تقدِّم تأويلات جديدة لظاهرة لغوية تخصّ الدلالة، ومع ذلك تأسست نظريات تناولت مسألة " المعنى " من كل جوانبها، مما أدّى إلى تشعُّب البحث في متعلِّقات المعنى اللغوية وغير اللغوية، وحاولت تقديم معايير موضوعية تنحسم معها كل قضايا الدلالة موضوع الخلاف بين اللغويين، غير أنها فتحت عوالم أخرى جديدة لتتسع معها رقعة البحث الذي تباينت فيه آراء العلماء **في التناول وطرائقه**، والتأويل ومعاييره، ووجدت بين ذلك أفكار رغم أهميتها إلا أنها لم ترتق إلى مصاف النظرية العلمية، وذلك لافتقارها لصفة الشمولية في التناول ووقوعها أسيرة لمناخ فكري –أيديولوجي– ساد العصر. (منقور عبد الجليل: علم الدلالة أصوله ومباحثه في التراث العربي، ص 81)

يرجع الاختلاف في الرؤية التنظيرية بين العلماء إلى **اختلاف في المنهج أو الطريقة المعتمدة في الدراسة**، وإذا تأمّلنا مختلف النظريات الغربية الحديثة التي عكفت على البحث في الدلالة، نلقى أغلبها يتوزع على **خمسة حقول تخضع لخمسة مناهج** تبنَّاها اللغويون في التنظير:

- **أما المنهج الأول:** فهو **المنهج الشكلي الصوري** الذي يصف المدلولات بالنظر إلى الشكل الذي يجمعها في بنية واحدة وهو تفرعها عن أصل واحد.
- **أما المنهج الثاني:** فهو **المنهج السياقي** الذي يتم من خلاله تصنيف المدلولات لاعتبارات تركيبة وتعبيرية وأسلوبية.
- **أما المنهج الثالث: فهو المنهج الموضوعي المقامي النفسي** الذي يحدِّد معه مدلول اللفظ والخطاب اللغوي، باعتبار حال المتكلم ومقامه وموقفه.
- **أما المنهج الرابع:** فهو **منهج الحقول الدلالية** المهتم بتحديد البنية الداخلية للمدلول، واعتبار القرابة الدلالية والعلائقية بين المدلولات (المفاهيم).
- **أما المنهج الخامس:** فهو **منهج التحليل المؤلفاتي** الذي تتكشف معه البنية العميقة للخطاب بتحليل اللفظ إلى مؤلفاته وعناصره.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ **النظريات العربية** في أيّ حقل من حقول العلم والمعرفة، ومنها حقل الدراسة الدلالية، لها مرجعيتها التاريخية والفكرية، وتخضع لتصوُّرات اجتماعية معيَّنة لا يمكن إسقاطها من أيّ مقاربة علمية، وهو ما حدا ببعض علماء العرب المحدثين إلى الدعوة لضرورة **تجديد التراث من داخله دون إغفال " المفاتيح " العلمية الحديثة،** ولا بدّ معها من احتياطات منهجية على النتائج التي نصل إليها. ومع ذلك لا يثنينا شيء عن إجراء إسقاطات منهجية ونظرية واعية على المنظومة المعرفية التراثية، وكون النظريات الغربية استمدت معالم قواعدها وتطبيقاتها من لغات أجنبية غير اللغة العربية، لا يعدّ مانعا من الاستفادة من أفكارها في تعاملنا مع التراث العربي، ذلك أنَّ " **اللغة العربية بصفتها " لغة " تنتمي إلى مجموعة اللغات الطبيعية وتشترك معها في عدد من الخصائص (الصوتية والتركيبة والدلالية) وتضبطها قيود ومبادئ تضبط غيرها من اللغات** " (عبد القادر الفاسي الفهري: اللسانيات واللغة العربية، ص 56).

وتحديدا للإطار النظري العام لعلم الدلالة، سـنعرض لبعض النظريات التي قدَّمت معايير أوّلية لمسألة المعنى وما تفـرَّع عنها وسنقتصر في عرضنا على أهم معالم النظرية وقواعدها وذلك بما يخدم غايات البحث وأهدافه.

من كتاب عبد المجيد جحفة

نعرض، في هذا الفصـل ثلاث نظريات دلالية: **النظرية المرجعية، ونظرية الأفكار، والنظرية السـلوكية**. وهذه النظريات، كما سـنبين تشـكو من بعض الثغرات، وربما كانت خاطئة تماما، إلا أن الباحثين ظلوا يشـتغلون بها لمدة ليسـت بالقصـيرة. وإذا لم تسـعفنا هذه النظريات في فهم ما هو المعنى، فإنها قد تسعفنا، لا محالة، في معرفة ما ليس هو المعنى.

لا نريد إعطاء تفصـيل تاريخي للأشـكال والصـيغ التي اتّخذتها هذه النظريات. سـتقتصـر على الأفكار العامة التي تبنتها، مسـائلين كل نظرية انطلاقا من النقط التي طرحناها سـابقا، مع التركيز على أقوى صـيغة في كل نظرية ونشـير في البدء إلى أن النظريات الثلاث تشـترك في خاصـية أسـاسـية وهي **خاصـية التعيين (Identification)**: إنّ معنى عبارة ما هو ما تحيل عليه العبارة (النظرية المرجعية)، أو هو الفكرة المرتبطـة بـالعبارة في ذهن المتكلّم (نظريـة الأفكار)، أو هو الحـافز الذي يـدعو إلى التلفظ بالعبارة و/ أو الاستجابة السلوكية التي تحدثها العبارة (النظرية السلوكية). بهذا تجيب هذه النظريات عن السؤال: ما هو المعنى؟ عن طريق تعـيين المعنى بشيء آخر. وفي الحالات الثلاث، الشيء الذي يجعل عين المعنى شـيء معروف نسـبيا. وتفسـير الشـيء من خلال مماثلته بشـيء آخر أمر منتقد بشـدة في الإبستمولوجيا المعاصـرة (التفسير بالمماثلة)؛ إذ لا يعتبر هذا النوع من التفسير تفسيرا قائما، ذلك أنه لا يتقدم تبريرا معقولا انطلاقا من الشـيء المفسّـر من حيث بنيته الداخلية ومن حيث ميكانيزماته، من هنا يمكن اعتباره تفسـيرا تخلّصـيا قائما على الحسّ المشـترك، إذ لا يعقل أن يملك شـيئان مختلفان التحديد نفسه.

لقد بدا للنظرية المرجعية أنّ معنى اللفظ، وليكن لفظ **تفاحة**، مجرّد وغامض، وما يشـف غموضـه هو مرجعه (أي التفاحة التي نأكل). إلا أنّه إذا كان معنى اللفظ هو عينه ما يحيل عليه، فإنّ معنى اللفظ تفاحة لن يكون أغمض من التفاح نفسه. ومن أجل إبعاد الغموض جعل الشيء الغامض وهو معنى اللفظ

تفاحة مماثلا لشـــيء ملاحظ ندركه بحواســنا (وهو المرجع في العالم الخارجي). ولو اعتبرنا المعاني عين الأفكار المرتبطة بها (وهو طرح نظرية الأفكار، فإنه ســـيبدو لنا أننا حققنا ربحا). وهذا مخالف للحقيقة: فالأفكار نفسها كيانات غامضة، كيانات مجرّدة تحتاج إلى قيام الاستدلال التجريبي عليها نفسها.

ومهما بلغت هذه المحاولات من الصــحة، فمســألة التعيين لا يمكن الدفاع عنها. إنّ المعنى ليس هو التفاح، فالتفاح يُؤكَــل والمعنى لا يُؤكَــل، والمعنى نتعلّمه والتفاح لا نتعلّمه. والمعنى ليس الحافز أو الاستجابة السلوكية المرتبطة به. إنَّ ما يحدث تلفّظنا بعبارة النجدة! بصورة نموذجية، هو الشعور بالخطر أو ما شابهه، والاستجابة النموذجية هي الإسراع إلى إغاثة المتلفِّظ بها، إلا أنّ معنى عبارة النجدة ليس هو الخطر أو التواجد في موقع الخطر أو مهمة الإغاثة. إنَّ الخطر أمر نتجنّبه وقد نقع فيه، وإغاثة شــخص في خطر قد تنجح وقد لا تنجح، أما المعنى فلا يمكن أن يكون لا هذا ولا ذاك. ونفس الشـــيء نقوله بالنســـبة لنظرية الأفكار؛ إذ لا يمكن أن يكون معنى اللفظ هو الفكرة المرتبطة به على الأقل بالمعنى القريب للفظ فكرة. فالأفكار قد تكون جيدة أو سيئة أو ماكرة، ... إلخ (أي لها قيم)، ومعنى اللفظ لا يمكن أن تكون له هذه الخصائص.

إذا كانت انتقاداتنا واردة، فالنظريات أعلاه لا تقـــدِّم أجوبة صحيحة عن السؤال عما هو المعنى. ولكن هذه النظريات تخصّـــص على الأقل شـــروط تماثل المعاني، أي أنها ســـتقول لنا متى يكون معنيا عبارتين متماثلين ومتى يكونان متباينين. وســـنعتبر ذلك جوابا جزئيا عن النقطة الأولى التي ســـقناها في المقدِّمة، بحيث إنّه ســيشـكِّل مســاهمة في وصــف الخصــائص الدلالية والعلاقات الموجودة بين التعابير اللغوية.

حين نقول إنَّ المعاني ليسـت هي الأفكار التي تقابلها فلذلك أسـباب. إذا اعتبرنا أنَّ الأفكار تحدِّد شـــروط تماثل المعاني دون أن تكون هي فعلا المعاني، فإننا لن نجيب عن الســـؤال المركزي ما هو المعنى؟، ولن نفسِّر لماذا ترتبط الأفكار بالمعاني بهذه الطريقة أو تلك، ورغم أن التعـــيين يشكِّل علاقة قويّة تربط بين الفكرة ومعناها، فإن أي ترابط صدفوي سيكون غير وارد، بل إنه سيهدّد هذه العلاقة نفسها. إلا أنه بالإمكان إقامة ربط نصوغه بصورة غير مباشرة فنقول، مثلا، إنّ معرفة معنى اللفظ تقتضـي وجود فكرة ترتبط به في إطار نظرية الأفكار، أو نقول إنّ معرفة معنى اللفظ تقتضـــي أن تكون مشـــروطين بالاســتجابة، بطريقة من الطرق، عند التلفظ بهذا اللفظ في إطار النظرية الســلوكية. وبهذا تكون قد أجبنا عن النقطة الثالثة الواردة في المقدّمة التي تتعلق بكيفية ارتباط المعاني بالمتكلّم وبالعالم الذي يعيش فيه.

ظهر عند الغربيين عدد من النظريات التي تصـف المعنى وتشـرح طبيعته وتفسِّـره وتصنِّفه إلى أنـواع مختلفة تبعا لمعايير متنوِّعة، ومن هذه النظريات: **نظرية الإشارة والنظرية السلوكية، والنظرية السياقية**، وسنسلِّط الضوء على هذه النظريات في المباحث الآتية.

نتحدّث في هذه المحاضـرة عن النظريات الدلالية بصـفة عامة واتجاهاتها منها النظريات البنيوية ومنها النظريات الوظيفية ومنها النظريات التداولية ومنها النظريات التوليدية التحويلية ومنها النظريات الإدراكية التي جاءت ثورة على النظريات التوليدية.

وهناك نظريات أخرى في المعنى والدلالة أذكر منها نظريتين هما:

1- نظرية التحليل التكويني للمعنى: COMPONENTIAL ANALYSIS OF .MEANING

2: THEORY OF SEMANTIC FIELDS نظرية الحقول الدلالية

وتهـتم الأولـى بتحـليل الوحـدة المعـجمية إلى مكوناتـها الأساسية، أو مقـومات ماهيـتها – حسب تعبير المناطقة – فمكوّنـات (إنسان) مثـلاً هـي (حـيوان عاقل) ومكوّنات رجل: هي + حيوان + عاقل + ذكر + بالغ)، ومكوّنات امرأة هي: + حيوان + عاقل – ذكر – بالغ.

ومن فوائد هذه النظرية سـهولة التوصـل إلى نوع العلاقة بين معاني الوحدات المعجمية، ودراسـة علاقات المعنى كـــ (الترادف، والتضـاد والاندراج...إلخ) دراسـة علمية دقيقة. كما نجد لها تطبيقات في المجال النحوي، لا سيما في مجال التطابق والإسناد.

وتهتم الثانية بإدماج الوحدات المعجمية المشـــتركة في بعض المكونات الدلالية في حقل دلالي واحد مثل (أحمر، أزرق، أصـــفر...إلخ) التي تشـــترك في حقل الألوان، ومثل (أب أم جد جدة ابن بنت، أخ، أخت، عم، عمة خال خالة. إلخ، التي تشترك في حقل القرابة.

ومن فوائد هذه النظرية الربط بين الوحدات المعجمية المتنوعة، ووضـــعها في حقول دلالية، وبيان العلاقة بينها وبين موضـوع الحقل من جهة، وبين أفراد الحقل من جهة أخرى، وذلك يسـهل للباحث إدراك هذه العلاقات، وإيجاد الكلمات التي تعبر عن عرضه بدقة.